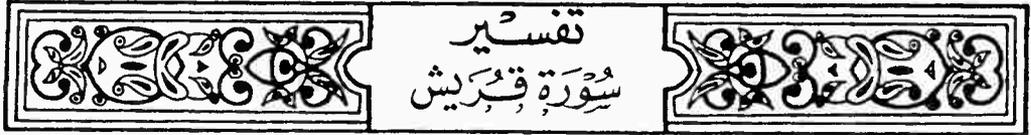


عملهم، وردد لهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء. ﴿طَرًّا أَبَايَلْ﴾ شتى متباعدة مجتمعة قال الكسائي: سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبايل إيل. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ السجيل: الشديد الصلب. والعصف: ورق الزرع الذي لم يقضب، واحدته عصفة. والمعنى أن الله أهلكتهم ودمرهم ورددهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح. لما أطل رسول الله ﷺ يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، أي حرنت فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أجبتهم إليها» ثم زجرها فقامت. والحديث من افراد البخاري. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

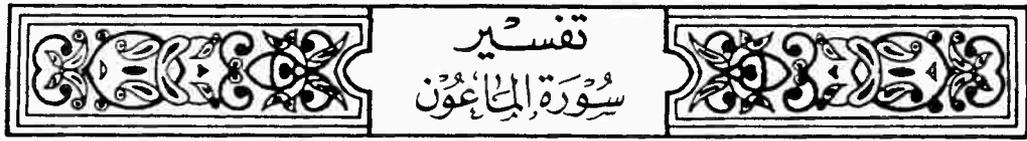


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِذْ لَفِيَتْمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾
 ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

هذه سورة مفصولة عما قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كانت متعلقة بما قبلها، لأن المعنى حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكتنا أهله لا يلاف قريش أي لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين. وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا مَنَا وَيَنْحَطُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لَبِطِلٌ﴾ [المنكيات: 67] ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ بدل من الأول ومفسر له، ولهذا قال: ﴿إِذْ لَفِيَتْمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ قال ابن جرير: الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول: اعجبوا لا يلاف قريش ونعمتي عليهم في

ذلك، قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان. ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ أي فليوحده بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً، وبيتاً محرماً ﴿الَّذِي أَطَعْتَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلها الله منه. ﴿وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ أَمِينَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيْتِهَا رِزْقَهَا رَعْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۖ﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى: أرايت يا محمد الذي يكذب بالدين، وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٨﴾ [الفجر: 17، 18] يعني الفقير الذي لا شيء يقوم بأوده وكفايته. ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٩﴾ يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر، ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ الذين هم من أهل الصلاة، وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أداؤها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك كان له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في